

الملاحظات

كثيراً من الحجاج، ومعظمهم من إيران، كانوا قد سافروا إلى الأرض الأقدس للتشرف بمحضر حضرة بهاءالله. وكان معظم مبلّغي أمرالله المعروفين من بين هؤلاء وكذلك الحواريين وكلهم فازوا بشرف زيارتهم مرة على الأقل في حياتهم، في حين أن بعضهم فاز بهذا الفخر والامتياز عدة مرات. من هؤلاء المؤمنين كان آقا محمد القائي، الملقب بـ "النبي الأكبر"، حيث جاء إلى عكاء حوالي عام ١٢٩٠هـ (١٨٧٣-١٨٧٤م) وتشرف بمحضر حضرة بهاءالله في بيت عبود. لكن لقاءه الأول بحضرة حدث قبل بضع سنوات في بغداد عندما اعترف بمقام حضرة بهاءالله من خلال بعض الحوادث المثيرة للاهتمام. وفي مناسبة حجه إلى عكاء وتشرفه بمحضر حضرته أنزل في حقه "لوح الحكمة".

تكتسب جميع ألواح حضرة بهاءالله المنزلة بعد "الكتاب الأقدس" أهمية خاصة وستتم مناقشتها في وقت لاحق. وهذا اللوح الذي نزل باللغة العربية قبل انتقال حضرة بهاءالله للإقامة في المزرعة، يبرز بين كتابات حضرته بما احتواه من المصطلحات الفلسفية وإشاراته إلى فلاسفة الإغريق القدماء، وكذلك التفسيرات العميقة لتأثير كلمة الله، وأصل الخليقة وسببها، وعمليات الطبيعة الغامضة، وغير ذلك

من الموضوعات عظيمة الشأن. كان النبيل الأكبر، مستلم اللوح، رجلاً واسع المعرفة والدراسة. حتى قبل إيمانه بأمر الله لم يكن متميزاً بين معاصريه في علم اللاهوت فقط، بل كان مشهوراً في كافة أنحاء إيران كفيلسوف ضليع واسع الإطلاع كسب تقدير رجال الثقافة والفكر قبل اعتناقه أمر الله.

فيما يلي كلمات حضرة عبدالبهاء في تكريمه لهذا الرجل التقي العظيم:

كان آية الهدى والتقوى، فدى حياته لأمر الله، وفي موته كان فوزه ونصره. مرّ بهذه الدنيا ومتاعها مرّ الكرام، أغمض عينيه تجاه بريق الجاه والغنى، وحرّر نفسه من كل هذه القيود والسلاسل، معرضاً عن كل فكرة دنيوية. كان عالماً وفاضلاً، وماهراً في جميع الفنون ومجتهداً فيما سبق، وفيلسوفاً ومتصوفاً وموهوباً ببصيرة كاشفة، كما كان من رجال الأدب البلغاء وخطيباً لا يضاهى. كان ذا عقل عظيم عالمي.

والحمد لله فإنه أصبح في خاتم المطاف موضع فضل إلهي. عليه بهاء الله الأبهي ونور الله مررده بأنوار ساطعة من ملكوت الأبهي وأدخله في جنة اللقاء وأخلده في ملكوت الأبرار مستغرقاً في بحر الأنوار.

ولذلك فمن غير المستغرب أن يختار حضرة بهاءالله إنزال هذا اللوح بلغة فيلسوف مفكر. وفيه يعرب عن أسفه لحالة العالم وشعوبه. وكلماته التالية تصور ملاحظاته المنذرة بسوء العاقبة:

"إنا ننصح العباد في هذه الأيام التي فيها تغبر وجه العدل وأنارت وجنة الجهل وهتك ستر العقل وغاضت الراحة والوفاء وفاضت المحنة والبلاء وفيها نقضت العهود ونكثت العقود. لا يدري نفس ما يبصره ويعميه وما يضلّه ويهديه."

إن فساد الجنس البشري الذي يصفه هنا لم يكن واضحاً أكثر مما هو عليه في يومنا هذا. وفي العديد من ألواحه، يحذّر حضرة بهاءالله البشر بأن، ما لم يعترفوا به ويتوجهوا إليه، فإن أحوال العالم ستتدهور يوماً بعد يوم. ويتنبأ بأن النظام القديم سيطوى ويحل نظام جديد محله. وبعد أن يصف بعض العلل التي يعاني منها المجتمع البشري، ينزل حضرة بهاءالله في "لوح الحكمة" بعض صفوة نصائحه ومواعظه، والتي هي وحدها القادرة على تخليص البشرية من وهدة الإلحاد التي سقطت في أعماقها.

تعاليم لرفع روحانية البشر

يحدد حضرة بهاء الله في هذا اللوح، مخاطباً شعوب العالم، بعض التعاليم التي من شأنها بعث الروحانية في كيان الجنس البشري وافتتاح عصر سيصبح فيه نبل الخلق واكتساب الفضائل السماوية هدف الفرد الرئيس في الحياة.

"قل يا قوم دعوا الرذائل وخذوا الفضائل كونوا قدوة حسنة بين الناس وصحيفة يتذكر بها الأناس. من قام لخدمة الأمر له أن يصدع بالحكمة ويسعى في إزالة الجهل عن بين البرية. قل أن اتحدوا في كلمتكم واتفقوا في رأيكم واجعلوا إشراقكم أفضل من عشيتكم وغدكم أحسن من أمسكم. فضل الإنسان في الخدمة والكمال لا في الزينة والثروة والمال."

لا يمكن للفرد أن "يدع الرذائل" ويكون "قدوة حسنة" بمجرد المحاولة. فلبوغ هذا الهدف السامي ينبغي أن يعمر قلبه بمحبة الله، وهذا غير ممكن ما لم يعترف بمظهر أمره لهذا اليوم ويوقن بأحقية رسالته. عندئذ تتوفق مساعيه لاكتساب الفضائل السماوية وتفوز بعون الله. والمفتاح هو ارتفاع إيمان الفرد إلى معارج الإيقان، كما يؤكد حضرة بهاء الله في أحد ألواحه إلى إحدى إمائه فإن "القلب هو محل تجلي أنوار

وجهي ومخزن لئالي حبي فيجب غسله بماء اليقين حتى يصبح طاهراً ومقدساً عن ذكر
غيري وقابلاً لهذه الموهبة العظمى والعطية الكبرى.

يصرّح ميرزا أبو الفضل، العلامة البهائي الشهير، في أحد بحوثه بأن السبيل أمام
الفرد ليكتسب اليقين قد ورد ذكره في القرآن الكريم في الآية التالية:

"واعبد ربك حتى يأتيك اليقين."

فإن ميرزا أبو الفضل أصبح تجسيداً للفضائل والكمالات السماوية إلى حد
جعل حضرة عبدالبهاء يحث الأحباء بأن يتخذوا منه مثلاً يحتذى به. وتكفي دراسة
سريعة لسيرة حياته للاستدلال على أن إنجازاته النبيلة كان مرجعها توجهه إلى الله
وانقطاعه عما سواه الله وهيامه بعبادته.

إن عبادة الله لا تقتصر فقط على الصلاة وغيرها من واجبات العبادة، فهناك
جوانب أخرى لا تقل أهمية. فالصفات الأساسية التي يحتاجها الإنسان في تعبدته هي
صدق نيته وخضوعه لخالقه. فالتوجه إلى الله في جميع الأوقات بالمحبة الحقيقية،
ومناجاته بالروح، واعتباره حاضراً دائماً، والثناء عليه وتمجيده وتسبيحه بالكلمة

والفعل ، والتضرع بحرارة لنزول تأييداته، وترويج أمره، وتنفيذ تعاليمه وخدمة البشرية - جميع هذه الأعمال تشكل الملامح الرئيسة لعبادة الله. إن الصلاة وحدها لن تحظى بمرضاة الله ما لم تتبعها خدمة أمر الله، وهذا مما يؤكد كثر من كتابات حضرة بهاء الله.

بالعودة إلى "لوح الحكمة"، نلاحظ قوله المبارك ناصحاً: "واجعلوا إشراقكم أفضل من عشيقكم..." ويمكن اعتبار هذا النصح تطبيقاً لأحد قوانين الخليقة. نجد في هذه الحياة أن أي كائن حي هو إما في حالة نمو أو تدهور، وينطبق المبدأ نفسه على روح الإنسان. الفرق الوحيد في هذه الحالة هو أنه يتعين على الإنسان الاختيار إذا كان يريد أن يتقدم روحياً أم لا. إن جميع الصفات والفضائل التي تكتسبها الروح في هذه الحياة، جنباً إلى جنب مع الإيمان، يجب أن يُسمح لها بالنمو يوماً بعد يوم. وإلا فإن الفرد سيتجه إلى التدهور، وربما دون أن يدرك ذلك. لأنه ليس في خلق الله حالة "بين بين" للأشياء أو بقائها ثابتة. وعليه فإن نصيحة حضرة بهاء الله لتحسين حياتنا الروحية في كل يوم هي في الواقع مبدأ من مبادئ الخلق الأساسية. في أحد ألواحه يؤكد حضرة بهاء الله على هذا المبدأ بشكل أكبر حين يصرح بأنه ينبغي على المؤمن ترتيب حياته بكيفية يتمنى مع كل نفس أن يصبح شخصاً جديداً ومع كل خطوة أن يصل ذروة أعلى، لعله ينشغل بهذه الطريقة وفي كل حين بتنزيه نفسه وذاته.

وفي "لوح الحكمة" ينصح حضرة بهاء الله أهل العالم بهذه الكلمات:

"اجعلوا أقوالكم مقدسة عن الزيغ والهوى وأعمالكم منزهة عن الريب والرياء. قل لا تصرفوا نقود أعماركم النفيسة في المشتبهات النفسية ولا تقتصروا الأمور على منافعكم الشخصية. أنفقوا إذا وجدتم واصبروا إذا فقدتم إن بعد كل شدة رخاء ومع كل كدر صفاء. اجتنبوا التكاهل والتكاسل وتمسكوا بما ينتفع به العالم من الصغير والكبير والشيوخ والأرامل. قل إياكم أن تزرعوا زؤان الخصومة بين البرية وشوك الشكوك في القلوب الصافية المنيرة.

قل يا أحياء الله لا تعملوا ما يتكدر به صافي سلسيل المحبة وينقطع به عرف المودة. لعمرى قد خلقتم للوداد لا للضعينة والعناد. ليس الفخر لحبكم أنفسكم بل لحب أبناء جنسكم وليس الفضل لمن يحب الوطن بل لمن يحب العالم. كونوا في الطرف عفيفاً وفي اليد أميناً وفي اللسان صادقاً وفي القلب متذكراً. لا تسقطوا منزلة العلماء في البهلاء ولا تصغروا قدر من يعدل بينكم من الأمراء. اجعلوا جندكم العدل وسلاحكم العقل وشيمكم العفو والفضل وما تفرح به أفئدة المقربين."

كثيراً ما أشار حضرة بهاء الله إلى "العلماء في البهاء"، كما هو الحال في هذا اللوح، وأثنى على فضائلهم وقدرهم، وكذلك أثنى على "الأمراء في البهاء". وأوضح حضرة شوقي أفندي، ولي أمر الله، هذين المصطلحين في الفقرة التالية، والمعربة عن اللغة الفارسية:

إن "العلماء" في هذه الدورة المباركة هم، من جهة، أيادي أمر الله، ومن جهة أخرى المبلّغون والناشرون لتعاليمه من دون الأيدي إلا أنهم بلغوا مكانة مرموقة في عمل التبليغ. أمّا "الأمراء" فتعني أعضاء بيوت العدل المحلية والمركزية والعالمية.

وقد أشاد حضرة بهاء الله بمكانة "العلماء في البهاء" في "الكتاب الأقدس" بعبارات وهاجّة. أشرنا إلى ذلك في مجلد سابق.

إن الوصايا الجليّة في "لوح الحكمة" هي في تباين ملحوظ مع الطريقة التي يتّبعها أغلب البشر في العالم في يومنا هذا في إدارة شؤون حياتهم. إلا أن دراسة متمعنة لرسالة حضرة بهاء الله تبين بوضوح أن دينه مقدر له أن يضم الجنس البشري بأكمله، وأن هذه الوصايا، قد صيغت ليكون لها التأثير الأكبر، في تمام الوقت، في حياة الإنسان على هذا الكوكب، ولتحدث ثورة في المجتمع البشري، وتُشكّل سلوك كل فرد من أفرادها وفقاً لتعاليمه السماوية.

أمّا خلال فترة ولايته، فقد تحمّل حضرة بهاء الله بصبر واصطبار الكثير من الظلم وقسوة المعاملة على يد جيل فاسد. مشيراً لنفسه بـ "الطير الإلهي"، يث حضرة بهاء الله ما في قلبه للنبي الأكرم قائلاً:

"ومع ما تراه كيف يقدر أن يطير الطير الإلهي في هواء المعاني بعدما انكسرت قوادمه بأحجار الظنون والبغضاء وحبس في سجن بني من الصخرة الملساء. لعمر الله إن القوم في ظلم عظيم."

في هذا اللوح يلمّح حضرة بهاء الله إلى ناصر الدين شاه حينما يتفضل قائلاً: "إنا نزلنا لأحد من الأمراء ما عجز عنه مَنْ على الأرض". ثم بعد ذلك يشير إلى استشهاد بديع وذلك بقوله: "إنه [ناصر الدين شاه] ارتكب ما ناح به سكان مدائن العدل والإنصاف."

أصل الخليفة

يكشف "لوح الحكمة" عن بعض أسرار خلق الله. ويصرح حضرة بهاء الله في أحد ألواحه: "تفكروا في لوح الحكمة، في كل آية سُتر بحر من البحور". في الإجابة عن سؤال طرحه النبيل الأكبر بخصوص بدء الخلق، أنزل حضرة بهاء الله هذه الكلمات:

"وأما ما ذكرت في بدء الخلق فهذا مقام يختلف باختلاف الأفئدة والأنظار لو تقول إنه كان ويكون هذا حق. ولو تقول كما ذكر في الكتب المقدسة إنه لا ريب فيه نزل من لدى الله رب العالمين. إنه كان كنزاً مخفياً وهذا مقام لا يعبر بعبارة ولا يشار بإشارة وفي مقام أحببت أن أعرف كان الحق والخلق في ظله من الأول الذي لا أول له. إلا أنه مسبق بالأولية التي لا تُعرف بالأولية وبالعلة التي لم يعرفها كل عالم عليم."

هناك بعض العبارات العميقة في المقتطف أعلاه، فيصف حضرة بهاء الله مفهوميين معروفين بخصوص بدء الخلق. أحدهما القائل بأن الخلق كان موجوداً أولاً، وأنه ليس له بداية ولا نهاية. والآخر يرجع إلى حديث إسلامي حيث يعلن صوت الله:

"كنتُ كنزاً مخفياً فأحببت أن أُعرَف فخلقت الخلق لكي أُعرَف". يفسر حضرة بهاء الله بأن هذين المفهومين في المقتطف المذكور هما في الحقيقة الشيء نفسه.

أكد حضرة بهاء الله وحضرة عبدالبهاء في العديد من الواحهما بأن الخلق كان موجوداً من الأول الذي لا أول له. وبما أن الله أبدي وكان منذ الأزل وسيبقى موجوداً إلى الأبد الذي لا نهاية له، إذاً فإن خلقه كذلك كان موجوداً منذ الأزل. فمن المستحيل أن نتصور زمناً كان "العدم" موجوداً فيه، لأنه ليس هناك شيء مثل عدم وجود مطلق.

أما المفهوم الآخر بأن الله كان كنزاً مخفياً، وخلق الإنسان ليجعل نفسه معروفاً، فيبدو وكأنه يعني وجود فاصل بدون خلق. وهذا المفهوم هو بمثابة القول بأنه كان هناك وقت كان الله فيه مجرداً من أحد أهم صفاته وهو "الخالق". في "لوح الحكمة" يرفض حضرة بهاء الله هذه النظرية، ويؤكد أنه لم يكن للخلق بداية إذ يتفضل قائلاً:

"... كان الحق والخلق في ظلّه من الأول الذي لا أول له...".

وبعد أن رسّخ هذه الحقيقة الأساسية، يصف حضرة بهاء الله بدء الخلق بأنه "مسبوق بالأولية التي لا تُعرف بالأولية..." وبهذه الكلمات يفرّق فيما بين أزلية الله

وأولية الخلق، فبينما الأولى غير مسبوقة بعلة فإن الأخرى خلقت بعلة. لقد أوضح حضرة عبدالبهاء ذلك بقوله إن الخلق وجد بفيض إرادة الله وليس بالتجسد. ويمكن تفسير الفرق بين الاثنين من خلال الأمثلة التالية: الكتاب صادر عن كاتبه، لكن لا يمكن أن يقال بأن أي جزء من الكاتب هو جزء من الكتاب، ولذلك فهو لا يجسد نفسه في صنعه. من ناحية أخرى، فإن البذرة تظهر نفسها في خلقها وهو الشجرة، وفروعها وثمارها. في هذه الحالة نلاحظ أن البذرة أصبحت جزءاً من الشجرة. مثال آخر هو الشمس وأشعتها. فالأشعة تنبثق عن الشمس، ولكن الشمس نفسها لا تنقسم لتشكّل الأشعة. والشيء نفسه ينطبق على الله والخلق. فالخلق ينبثق عن الله، ولم يتواجد من خلال التجسد لأنه لو فعل، فإن الله يجب أن يكون جزءاً من الخلق، وهذا من شأنه أن يجعله كائناً محدوداً.

بعد أن ثبت أن الخلق فيض من الله، نلاحظ وجود تشابه بين الشمس وأشعتها. وقد تحدث حضرة عبدالبهاء عن هذا كما ورد في كتاب "مفاوضات عبدالبهاء":

"... كالشعاع وإن كان ملازماً للشمس دائماً ولكن الشمس قديمة وشعاعها حادث، لأن وجود الشعاع يتوقف على وجود الشمس. أمّا وجود الشمس فلا يتوقف على الشعاع فهي الفائضة وهو الفيض."

وبالمثل، فلا يمكن فصل الخلق عن الخالق، وكلاهما موجودان معاً. لكن الله سابق في وجوده وقائم بذاته، وهو منزّه عن الأوليّة والآخريّة أو الزمان، بينما الخلق مسبوق بالعلّة (السبب). وهو (الخلق) "مسبوق بالأوليّة التي لا يمكن اعتبارها أوليّة ومكوّن بالسبب الذي خفي عن كل عالم".

ويشرح حضرة عبدالبهاء العلاقة بين الله وخلقته بهذه الكلمات:

"إذاً فعالم الإمكان وإن كان موجوداً ولكنه بالنسبة إلى وجود الحق عدم وفناء. فالإنسان والتراب كلاهما موجود ولكن أين وجود الجماد من وجود الإنسان. فهو بالنسبة إليه عدم. وكذلك وجود الخلق بالنسبة إلى وجود الحق عدم."

في "لوح عبد الوهاب" المنزل بعكاء يتحدث حضرة بهاءالله عن خلود الروح. وعن وجودها في عوالم الله الروحية يتفضل بهذه الكلمات:

"وهذا البقاء بقاءً زمني وليس بقاءً ذاتياً لأنه مسبوق بعلّة. أمّا البقاء الذاتي فهو غير مسبوق وهو مخصوص بالحق جل جلاله."

وفي "لوح الحكمة" يؤكد حضرة بهاء الله بأن الخلق كان موجوداً دائماً دائماً ولكن ليس في الشكل ذاته. هذه هي كلماته:

"قد كان ما كان ولم يكن مثل ما تراه اليوم."

إن الكون بكل أجرامه السماوية غير متناه في مداه ودائم أبدي في الزمن. بيد أن التغيير أحد خصائص الوجود المادي، فكل ما يتكون من مادة مآله التحلل والتفسخ. وهكذا بينما تتفكك بعض الأجرام السماوية، فإن البعض الآخر يخرج إلى حيز الوجود. ولكن عالم الوجود ككل يظل أبدياً ودائماً.

يورد حضرة بهاء الله في البيان التالي من "لوح الحكمة"، دليلاً حيوياً عن أصل الخلق:

"وما كان تكوّن من الحرارة المحدثة من امتزاج الفاعل والمنفعل الذي هو عينه وغيره. كذلك ينبئك النبأ الأعظم من هذا البناء العظيم. إن الفاعلين والمنفعلين قد خلقت من كلمة الله المطاعة وإنها هي علة الخلق وما سواها مخلوق معلول إن ربك لهو المبين الحكيم."

ولنقدر الفقرة أعلاه يحتاج المرء أن يكون ضليعاً في الفلسفة اليونانية القديمة والإسلامية، إذ استخدم حضرة بهاء الله مصطلحات من الفلاسفة القدماء لشرح علة الخلق الحقيقية. إن نظرية "القوة الفاعلة" و"المنفعل" تتعلق بالعناصر الأربعة، النار والهواء والماء والتراب. وبالنسبة لأولئك الذين هم على دراية بهذه الفلسفة، فإنه من الواضح أن "الفاعل" هو "المنفعل" نفسه ومع ذلك يختلف عنه. بيد أن هذه النظرية، وهي قديمة جداً ومعقدة، ... والمهم بالنسبة للقارئ العام هو كشف حضرة بهاء الله عن أن عملية الخلق قد تكونت من أثر امتزاج الفاعل والمنفعل بما أحدثاه من حرارة وأن الفاعلين والمنفعلين قد خلقوا من خلال كلمة الله.

هناك العديد من الألواح التي أوضح فيها حضرة بهاء الله عملية الخلق، لكن في جميعها يؤكد أن كلمة الله، النازلة من سماء الوحي الإلهي، هي سبب الحياة المادية والروحية على السواء. ويصرح حضرته في أحد الألواح بأن حياة كل شيء تتوقف على كلمة الله.

ليست كتابات حضرة بهاء الله فقط هي خير شاهد على هذه الحقيقة، ولكن الكتب المقدسة السماوية السابقة أيضاً تؤكد ذلك. فمثلاً مدون في الأناجيل:

"في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله."

ونقرأ في سفر إشعياء:

"لأنه كما ينزل المطر والثلج من السماء ولا يرجعان إلى هناك بل يرويان الأرض ويجعلانها تلد وتنبت... هكذا تكون كلمتي التي تخرج من فمي. لا ترجع إليّ فارغة بل تعمل ما سررت به وتنجح في ما أرسلتها له..."

ذكر في الإسلام أنه عندما أراد الله أن يخلق، تلفّظ بكلمة واحدة "كن" فأوجد الخليقة. وقد ذكرنا الشيء الكثير عن الكتابات البهائية في مجلدات سابقة حول فاعلية كلمة الله وطاقتها الخلاقة.

لقد كشف حضرة بهاء الله للبشرية في "لوح الحكمة" عن سر الطاقة الإبداعية الإلهية، فعرف أصل الخلق، وهو بذلك يؤكد:

"لا بد لكل أمرٍ من مبدأً ولكل بناءٍ من بانٍ وإنه هذه العلة التي سبقت الكون..."

وكما أن الإنسان غير قادر على معرفة جوهر الله، فهو أيضاً غير قادر على فهم العملية التي من خلالها جلبت كلمة الله هذه الخليقة إلى حيز الوجود. وعن الطبيعة المقدسة لهذه الكلمة، أنزل حضرة بهاء الله هذه الكلمات في "لوح الحكمة":

"ثم اعلم أن كلام الله عز وجل أعلى وأجل من أن يكون مما تدركه الحواس لأنه ليس بطبيعة ولا بجوهر قد كان مقدساً عن العناصر المعروفة والإسقطقات العوالي المذكورة وإنه ظهر من غير لفظ وصوت وهو أمر الله المهيمن على العالمين. إنه ما انقطع عن العالم وهو الفيض الأعظم الذي كان علة الفيوضات وهو الكون المقدس عما كان وما يكون."

إن الله في جوهره غيب منيع ممتنع لا سبيل لمعرفته من قبل عباده ومظاهر أمره، فلا يمكن أن ينسب لجوهره أي صفة أو سمة مهما كانت جليلة سامية. فأوصاف مثل "العليم"، "الحكيم"، "القدير" وما شابهها لا يمكن أن تسند إلى جوهر الله. ولو أمكن ذلك فإن هذه الصفات ستفرض قيوداً على جوهره والذي هو مقدس عن أي وصف أو ثناء. فهذه الأسماء الحسنى إنما تعزى فقط لله المتجلي في إنسان وليس لجوهر الله نفسه. من صفات الله، مثلاً،

"الخالق"، إلا أن حتى هذه الصفة لا يجوز نسبتها لحقيقة ذات الله. يبدو أن قوة خلاقة ما تنبع من الله وهي مصدر الوحي الإلهي وعلة الخلق. ويشار أيضاً إليها باسم المشيئة الأولية لله أو الحقيقة الكونية. يتحدث حضرة عبدالبهاء عنها بالعبارات التالية:

"لهذا صدرت جميع الكائنات من الحق. يعني أن ما تتحقق به الأشياء هو الحق. والممكنات وجدت به. وأول ما صدر عن الحق هو تلك الحقيقة الكلية التي تسمى في اصطلاح الفلاسفة الأقدمين بالعقل الأول. وباصطلاح أهل البهاء المشيئة الأولى. وهذا الصدور من حيث الفعل لا يُحد في عالم الحقيقة بالزمان والمكان. لا أول له ولا آخر. فالأولية والآخرية بالنسبة إلى الحق على حد سواء. وقدم الحق قدم ذاتي لا زمني...

وليست أسبقية العقل الأول تجعله شريكاً للحق في القدم. ذلك لأن وجود الحقيقة الكلية بالنسبة إلى وجود الحق عدم صرف. وليس لها حكم الوجود حتى تكون شريكة ومماثلة في القدم. وقد سبق بيان هذه المسألة من قبل."

إن الخلق في هذه الحياة يتم من خلال آلية الطبيعة. ويمكن وصف الطبيعة بأنها مظهر "إرادة الله الأولية" في هذا الكون المادي. ويؤكد حضرة بهاء الله ذلك في "لوح الحكمة":

"قل إن الطبيعة بكيونتها مظهر اسمي المبتعث والمكوّن وقد تختلف ظهوراتها بسبب من الأسباب وفي اختلافها لآيات للمتفرسين. وهي الإرادة وظهورها في رتبة الإمكان بنفس الإمكان وإنها لتقدير من مقتدر عليم ولو قيل إنها لهي المشيئة الإمكانية. ليس لأحد أن يعترض عليه. وقدر فيها قدرة عجز عن إدراك كنهها العالمون. إن البصير لا يرى فيها إلا تجلي اسمنا المكوّن قل هذا كون لا يدركه الفساد وتحيرت الطبيعة من ظهوره وبرهانه وإشراقه الذي أحاط العالمين."

إن موضوع الخليفة المذكور في كثير من ألواح حضرة بهاء الله وحضرة عبدالبهاء التي تلقي الكثير من الضوء على هذا الموضوع. في الحقيقة إن هذه التفسيرات ستكون عاملاً مساعداً كبيراً لتوسيع رؤية البشرية لحقائق خلق الله. وقد أثرى حضرة عبدالبهاء أيضاً هذه المعرفة من خلال العديد من خطبه ومحادثاته، لعل أبرزها تلك التي جرت حول مائدة العشاء في منزله في عكاء، والتي جمعت ونشرت في كتاب

"مفاوضات عبدالبهاء". كما أن هناك مصدر قيم آخر للمعلومات والتنوير في هذا الموضوع هو مصنف لمجموعة ألواح وكتابات لحضرة بهاءالله وحضرة عبدالبهاء بالفارسية بعنوان "أمر وخلق" (المجلد الأول).

في "لوح الحكمة" يستذكر حضرة بهاءالله بأنه سبق أن شرح للنبي الأكرم أسرار الخلق في بيت مجيد. هذا الشخص هو عبد المجيد الشيرازي الذي أشرنا بإيجاز إلى لقائه بحضرة بهاءالله في مجلد سابق.

إشارات إلى الفلسفة القديمة

في "لوح الحكمة" يسهب حضرة بهاءالله مطولاً في عرضه لأعمال ومعتقدات قدماء فلاسفة اليونان وحكمائها. ويؤكد بأن "أس الحكمة وأصلها من الأنبياء"، ويذكر أسماء بعض فلاسفة اليونان الذين اكتسبوا الحكمة من أنبياء بني إسرائيل، ويجزم بأن الفلاسفة القدماء آمنوا بالله، ويثني على أعمال سقراط مشيراً إليه بـ"سيد الفلاسفة كلها" و"قد كان على جانب عظيم من الحكمة"، ويعطي تفاصيل أعمال العديد من حكماء اليونان وتطلعاتهم.

من الواضح أن بعض هذه التفاصيل لا يمكن العثور عليها في كتب التاريخ، وهي في الواقع تكشف للمرة الأولى من خلال علم الله ووحيه. وقد سألت إيثل روزنبرغ، إحدى أوائل المؤمنات البريطانيات، حضرة عبدالبهاء عن بعض الاختلافات بين السجلات التاريخية وبيانات حضرة بهاء الله الواردة في "لوح الحكمة". وإجابة على ذلك استلمت من حضرته لوحاً مطولاً يشرح فيه كيف أن السجلات التي تشير إلى العصور القديمة قبل الإسكندر الكبير لا يمكن الاعتماد عليها لأنها جمعت في سنوات لاحقة وأخذت بصفة رئيسة عن روايات شفوية. وعلاوة على ذلك، هناك العديد من التناقضات الرئيسة حتى فيما بين سجلات التاريخ الموثوقة. ويأتي بكتاب التوراة المقدس مثلاً على ذلك، ويصرح بأن هناك ثلاث نسخ منه بالعبرية واليونانية والسامرية. لكنها تختلف كثيراً حول بعض الأحداث التاريخية والتي يعددها في اللوح نفسه. بعد إثباته عدم موثوقية السجلات التاريخية القديمة، يصرح حضرة عبدالبهاء أن السجل الحقيقي للتاريخ هو ما يلهمه الله لأبيائه، فهم منزلو كلمة الله وعندهم علم بأحداث الماضي والمستقبل.

يمكننا أن نجد مثلاً صارخاً على هذا في القرآن الكريم. فهناك جزء كبير من هذا الكتاب يتألف من القصص التي نجدها في العهدين القديم والجديد. وكل هذه الأمور أنزلت من جديد على محمد (ص)، الذي لم تكن لديه إمكانية الوصول إلى الكتب المقدسة اليهودية والمسيحية. في الواقع، إنها لم تترجم إلى اللغة العربية إلا

بعد وفاة الرسول محمد (ص) بعدة قرون من الزمن. إن أحد البراهين على صحة الكتاب المقدس هو أن القصص الواردة فيه قد جرى التصديق عليها بعد قرون بما أنزل مباشرة في القرآن الكريم. ومن المثير للاهتمام أن نلاحظ أن رواية القرآن الكريم لبعض هذه القصص تحتوي على تفاصيل لا يمكن العثور عليها في العهد القديم أو العهد الجديد. بالإضافة إلى ذلك، هناك في القرآن الكريم بعض القصص عن الأنبياء السابقين جديدة تماماً، وتعطي وصفاً أوفى تماماً لتاريخ الأديان.

هناك آية في القرآن الكريم تلقي ضوءاً على هذا الموضوع. ففي إحدى السور يتحدث صوت وحي الله عن بعض القصص المتعلقة بموسى عليه السلام وفرعون وبني إسرائيل. ثم يخاطب الوحي بعدها الرسول، وكأنما الأخير كان في شك حول صحة بعض ما أتاه من التفاصيل، بهذه الكلمات:

**"فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك
لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين."**

إن الله هو العليم بكل شيء، وإذا كان أحد يعتقد أنه يتجلى للإنسان من خلال مظاهر أمره، فإنه يلزم بالضرورة أن تكون كلماتهم حق وصادقة وبأن لديهم علم كل

شيء. وكمثال على ذلك: من المعروف أن حضرة بهاء الله لم يقرأ معظم كتابات حضرة الباب، بما فيها "البيان"، أم الكتاب في الدورة البابية، ويشهد بنفسه على تلك الحقيقة في هذه الكلمات الموجهة إلى سيء الصيت، هادي دولت آبادي:

"يشهد الحق بأن هذا المظلوم لم يقرأ البيان ولم يطالع عليه... لعمر الله إن هذا المظلوم، من كثرة معاشرته الناس، لم يقرأ تلك الكتب ولم تقع عيناه بالبصر الظاهر على كتابات النقطة الأولى."

على الرغم من هذا، فإن حضرة بهاء الله قد استشهد بغزارة، خلال أربعين عاماً من ولايته، بمقتبسات من كتابات حضرة الباب. فألواح حضرة بهاء الله تزخر بما لا يعد من فقرات كتاب "البيان" وغيره من الكتابات البابية. ولو يُنظر إليه من منظور القدرة البشرية الاعتيادية فإن هذا شيء يستحيل تحقيقه. ولكن لا يمكن المقارنة بين الله والإنسان، فمظهر أمر الله موهوب بالمعرفة الإلهية بينما الإنسان محروم منها. وأمام أبصارهم يمتد الماضي والحاضر والمستقبل لأنهم أصفياء الله الذين يمثلونه في هذا العالم. في "لوح الحكمة" يصف حضرة بهاء الله ذلك بقوله:

"وإنك تعلم أننا ما قرأنا كتب القوم وما اطلعنا بما عندهم من العلوم كلما أردنا أن نذكر بيانات العلماء والحكماء يظهر ما ظهر في العالم وما في الكتب والزبر في لوح أمام وجه ربك نرى ونكتب إنه أحاط علمه السموات والأرضين.

هذا لوح رقم فيه من القلم المكنون علم ما كان وما يكون ولم يكن له مترجم إلا لساني البديع. إن قلبي من حيث هو هو قد جعله الله ممرداً عن إشارات العلماء وبيانات الحكماء. إنه لا يحكي إلا عن الله وحده يشهد بذلك لسان العظمة في هذا الكتاب المبين."

كان النبيل الأكبر الذي نزل في حقه "لوح الحكمة"، واحداً من أعظم مبلّغي أمر الله وعزيزاً جداً على حضرة بهاء الله. وقد كشف له في هذا اللوح سر النجاح والتأييد في تبليغ دينه. ومن خلال وصاياه في هذا الباب يبين حضرته أهم متطلبات التبليغ الأساسية. وعلى الرغم من أن هذه الوصايا موجهة إلى النبيل الأكبر فإنها تنطبق أيضاً على المؤمنين الآخرين في أعمالهم التبليغية. فيما يلي كلمات حضرة بهاء الله الموجهة إليه:

"كنّ مبلّغ أمر الله ببيان تحدث به النار في الأشجار وتنطق إنه لا إله إلا أنا العزيز المختار. قل إن البيان جوهر يطلب النفوذ والاعتدال. أما النفوذ معلق باللطافة

واللطافة منوطة بالقلوب الفارغة الصافية. وأما الاعتدال امتزاجه بالحكمة التي
نزلناها في الزبر والألواح. تفكر فيما نزل من سماء مشية ربك الفياض لتعرف ما
أردناه في غياهب الآيات."

إن "لوح الحكمة" كالبحر المحيط، وقد غمر النبيل الأكبر نفسه فيه وحصل
على عدد كبير من لئالي الحكمة المخفية في أعماقه. كان مؤمناً موقراً ويعتبر واحداً
من حواربي حضرة بهاء الله، وخدم مولاه بتفان تام حتى نهاية حياته. وبعد وفاته أنعم
حضرة عبدالبهاء عليه برتبة أيادي أمر الله.

"كتاب ظهور حضرة بهاء الله، أديب طاهرزاده، المجلد ٤"